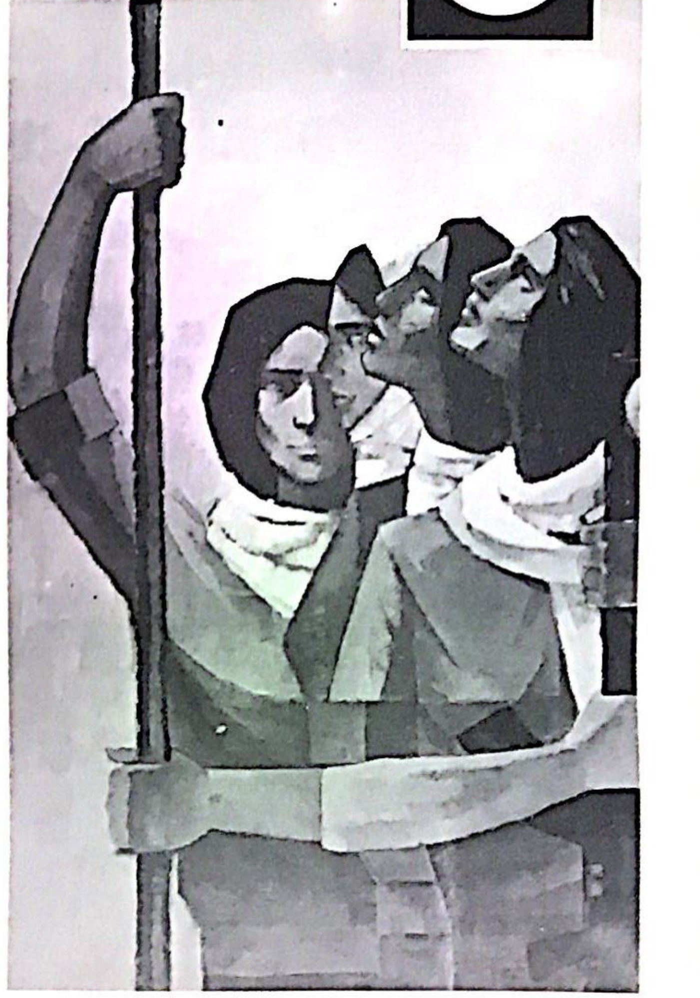

حين يكون طريق إعلام الثوره.. مخيمات جماهيرها

كانت اقامة معرض للكتاب والفن الفلسطيني في مخيم برج البراجنة في الاسبوع الماضي بادرة يجب ان تطور الى اسلوب عمل اعلامي وتحريضي في المخيمات ومراكز تجمع الفلسطينيين والقوى الوطنية التقدمية اللبنانية ، ذلك ان اقامة مثل هذه المهرجانات تمنحنا القدرة على التحرك ضمن اكثر من اطار فهي واجهة لابراز وجه اخر من اوجه الثورة الفلسطينية – فكرها وفنونها وقدراتها الفنية والادبية والسينمائية بعد ان اهمل هذا الجانب طويلا ، او لنقل وضع في المرتبة الثانية من الاهمية في حين تتزايد باستمرار الحاجة الى ابراز الوجه الحضاري للثورة الفلسطينية . هذا الوجه الذي اغلقت دونه الكثير من الابواب والمنافذ ليكون في متناول اصدقائنا – بل اعداءنا حتى .

ولا بأس من الاشارة هنا الى ان اجهزة الثورة الفلسطينية قد اهملت طويلا دور الفن والسينما والادب الى حد ما واعطتها دائما مرتبة لاحقة مما جعلها تبدو لفترة طويلة ترفا زائدا لا بأس من التفرغ له – فيما بعد ...

وقد جاء مهرجان الكتاب والفنون الفلسطينية ليرد ببساطة على هذا التوجه حين استطاع ان يكون فاعلا بشكل يستحق التسجيل في مجال التوعية والتحريض السياسى .

فمثلا استطاع الشرح التاريخي للاحتلال الصهيوني لفلسطين من خلال الخرائط التوضيحية ان يستقطب الاهتمام الواضح ذلك ان الصهيونية قد جندت كل امكاناتها وامكانات عملائها للعمل على تشويه تاريخ وجودها في فلسطين حتى بات هذا الموضوع اكثر المواضيع غموضا في ذهن المواطن . وبما ان الموضوع يعتبر جديدا فكان يمكن للمهرجان ان يمهد له باقامة ندوة لشرح تاريخ الشعب الفلسطيني الموضح بالخرائط المعروضة فان ذلك كان يمكن ان يهيء مجموعة قادرة على الرد على التساؤلات الكثيرة التي فجرتها هذه الخرائط ، وستكون الخطوة اكثر ايجابية لو اننا استطعنا تأسيس معرض دائم في كل مخيم تكون مادته الاساسية تاريخ الشعب الفلسطيني واساسيه – وجوده على ارض فلسطين موضحا بالخرائط والاحصاءات والرسوم .

وقد تضمن المهرجان كذلك مجموعة جيدة من منشورات وادبيات الثورة التي تستطيع ان تقدم لقارئها كل ما يريد معرفته عن الثورة الفلسطينية وبرامجها واستراتيجيتها وتصورها الى جانب الدراسات القيمة عن مواضيع الثورة والثورات في العالم والدراسات السياسية والفكرية والاقتصادية والعسكرية ودراسات مركز الابحاث الفلسطينية عن المجتمع الاسرائيلي والاحزاب الاسرائيلية وكل ما يتعلق بالكيان الاسرائيلي بما يشكل مرجعا ممتازا وغنيا وخلفية لاغنى عنها لتصور طبيعة مواجهتنا وحربنا الطويلة مع عدونا .

ولا بد من الاشارة هنا الى ان مكتبة الثورة الفلسطينية لا زالت تفتقر للدراسات التي تتجاوز المثقف الى ابن وبنت المخيم . وربما قيل الكثير عن هذا الموضوع سابقا ، غير ان اقامة معرض الكتاب الفلسطيني في مخيم برج البراجنة ابرز فعلا افتقار مكتبتنا الى كتاب يسطر ابن المخيم اليه ليقراه

وفي مجال الفنون التشكيلية عرضت رسوم للفنان الفلسطيني اسماعيل شموط ولوحات زيتية ومنحوتات للفنان توفيق عبد العال ، ورغم سمة الحزن التي طبعت رسوم الفنانين فقد كان لها طعمها الفلسطيني ، وربما كانت المرة الاولى التي يشاهد فيها سكان مخيم فلسطيني فنا تشكيليا فلسطينيا ، ويرد ملاحظة هنا، هي ان الانسان الفلسطيني ينظر لكل ما هو فلسطيني من خلال الثورة ، وبالتالي من خلال قرب هذا العمل من الثورة، لذلك يجب الحرص دائما عند التعامل مع هذا الانسان ، فقد تأمل الجميع اللوحات وابدوا ملاحظاتهم واشتروا بعضا منها ، لكنهم لم يتجاوبوا كثيرا مع منحوتات توفيق عبد العال عن المرأة الفلسطينية ، بالتأكيد كانت هذه المنحوتات ستثير اعجاب وخيال الكثيرين من اصدقاء الثورة ، لكن شاهدت اكثر من واحد يتكىء على هذه المنحوتات دون ان ينظر اليها .

وربما كان الجناح رسوم الاطفال اصغر الاجنحة لكنه كان من اغناها.. حيث مرة اخرى يمنحنا الطفل الفلسطيني القدرة على ان نحلم له بالثورة ..

مرة اخرى ان اقامة مثل هذه المهرجانات ليست خطوة ايجابية فقط بل هي ضرورية جدا اذا لم يكن بالامكان تأسيس معارض دائمة في المخيمات ومراكز تجمع الفلسطينيين واصدقائهم فلا بد اذن من استمرار التجربة وتكرارها بين حين واخر ، فالتجربة الى جانب قدرتها على التعبئة السياسية والتحريض ، استطاعت ان تعرض وجه الثورة الحضاري وتراثها الفكري والادبي والفني لاصدقاءها وابناءها .

العروض السينمائية في المخيمات

بعد قصف المخيمات بدأت للمرة الاولى خلال الشهر الماضي تجربة العروض السينمائية في المخيمات .

فقد قامت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بتنظيم عروض سينمائية في المخيمات ومراكز تجمع الفلسطينيين والقوى التقدمية اللبنانية ، وقد قدمت في هذه العروض اشرطة من انتاج الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين واخرى عن نضال الشعب الفيتنامي ، ورغم ان التجربة في بدايتها فقط الا انها بدأت بنجاح واضح حيث استطاعت ان تكسب تفهم والتفاف الناس مبدئيا حيث استطاعت الافلام ان تلعب دور المحرض السياسي ، الى جانب تعميق مفاهيم كثيرة حول حرب الشعب وظروفها وضروراتها، وفي مقدمة ذلك كله الملاجىء والخنادق وتلاحم المقاتلين بالجماهير ودور المراة في القتال ، وقدرة الانسان الثائر على التكيف ضمن اجواء المعركة بما يجعله قادرا على القيام بكافة المهام التي تجعله عنصرا فاعلا في المعركة.

وقد اثبتت هذه التجربة مرة اخرى – بعد ان كثر الكلام في هذا الموضوع – اهمية وخطورة دور السينما في التعبئة السياسية والتهيئة النفسية ومحاربة العدو على جبهة تسلله لضرب معنويات المقاتلين والجماهير .

فالسينما بقدرتها على جمع الناس قادرة بشكل فعال على خلق راي موحد في القضايا المطروحة من خلال مخاطبة جميع حواس الانسان والتأثير عليه بالتجربة الحية الى حد دفعه الى اتخاذ القرارات، وهي بذلك تسهل عملية التنظيم في التقاط ذروة التصميم عند هذا الانسان ودفعها الى الفعل المنظم.. وربما خير تجسيد لذلك هو قدرة الفيلم الفيتنامي على تعبئة اغلبية اهالي احد المخيمات بما يخص الملاجىء ، بعد ان كانت فكرة الملجا مجرد حكاية او اسطورة ، صارت ببساطة فكرة ممكنة التنفيذ حين أستطعنا ايصالها بالملموس من خلال شريط سينمائي .

يجب ان لا تتوقف هذه التجربة اذا لم نقل يجب ان تتكرس وتدرس وتعمق بتلافي كل الاخطاء التي يمكن ان تعيق استمرارها حتى تصبح باستكمال الامكانات الفنية عروضا دائمة ومنظمة تدعم دور التنظيم في التعبئة السياسية والتحريض الجماهيري وخلق راي ثوري موحد.

وامام الشاشة المتواضعة على حائط كل مخيم عقول نهمة الى المعرفة وهي « الأحق » بان نسعى اليها ونعمل من اجلها .

القسم الأخير من

المضيف

« قصة بقلم برهان الخطيب »

احتفل الحاج مدير الناحية بمجيء القائمقام وقدم له كرسيه الاخضر الذي لا يرتضي ان نمسه احد ، وتحدثوا قليلا ، وتجولوا قرب مشروع الحفر ، ثم ركبوا سياراتهم وذهبوا الى قلعة جاسم البطي « دون ان ياخذ الحاج شتيوي معه كما وعد .. » .

شعر شتيوي بالحزن في بادىء الامر ، ثم تناسى ذلك وركب ، حاشرا نفسه مع العمال ، سيارات الحمل بعد ان ترك مع الدواب صبيا من الجوار . وذهب مع الذاهبين الى القلعة .

سلام عليكم ... عليكم السلام ... الله بالخير .. سلام عليكم .. تساقطت كزخة فانية من الامطار على الجالسين والواقفين . وكان الجالسون والواقفون كثيرين لا يكاد يرى الجالس في جانب المضيف الجانب المقابل لكثرة الاجساد التي تدخل ، وكان المضيف عبارة عن بناء مستطيل كبير من الطابوق مسقوف بالحجارة وجذوع النخيل والنخوت مرصوفة الى الجدار المقابل لبوابة الدخول وحتى في وسط هذا المستطيل اسطبة اخرى قسمت فسحة المضيف الى عدة مستطيلات مع احتفاظ نخوت الجدار المقابل للبوابة بصدر المكان وكان مدير الناحية والقائمقام والمرافقون يحتلون هذه النخوت في حين انتشر مساحو الاراضي وعمال الحفر وفلاحون من ال البطي على النخوت المجاورة الاخرى والاسطبة المفروشة على الارض . وكان اغلب الفلاحون يحدقون نظرة فارغة بوجه « الافندية » الجالسين امامهم ، والجميع في انتظار الوليمة رغم ان ذلك لم يكن يبدو على وجه اي منهم .

قال جاسم البطي الذي كان واقفا وسط المضيف مرتديا دشداشة بيضاء ويضع على راسه (عرقجين حجازي) مرحبا بالقادمين :

– يا اهلا ومرحبا .. كيف حال الشغل في المشروع ؟

اجاب الحاج بلهجته الهادئة البطيئة :

– بخير والحمد لله .. سيفيدكم المشروع فائدة عظيمة .

اعقب البطي مناورا اشارة مدير الناحية حول الفائدة العظيمة :

– الفائدة الصحيحة ياحاج ان تعمل لنا على اجازة نصب ماكنة الفخ كما وعدتنا .

وصاح مناديا احد المنشغلين بتوزيع اللبن والوسائد على الجالسين :

– تعال هنا .. قدم اللبن .. تعال انت .. اذهب باللبن الى رئيس العرفاء .

وصاح ثانية محدثا الشرطي رئيس العرفاء :

– كيف حال المحروس سعد ؟

وقبل ان يتم سؤاله انخرط الشرطي رئيس العرفاء في مدح حصانه وهو الذي لم يجد احسن من هذه الفرصة للحديث عنه امام القائمقام وامام ما يقرب من التسعين مستمعا:

قال الشرطي بلهجة من لا يهتم للحديث :

– مع الاسف حصل المحروس سعد على (الترد كلاص) كان ابوه (فرندل) يحصل دائما على « الفص كلاص » في السباق ..

ضحك الحاج وهو يجد في حديث الشرطي فرصة مناسبة لملاطفة القائمقام والحديث معه ، فقال الحاج :

– حقيقة كان فرندل حصانا جيدا .. حصل على (الفص كلاص) كما يقول رئيس العرفاء و (الفص كلاص) حسبما اتصور تعني « الدرجة الاولى » او « الفرست كلاس » بالانكليزي و (الترد كلاص) بالطبع تعني (الدرجة الثالثة) ...

ابتسم القائمقام ولم يجب بشيء .

وضجر الجالسون بالحديث وملوا الانتظار وكفت وجوههم عن اخفاء رغبتهم لمجيء صينية الطعام واخذ بعضهم يشمر عن ساعديه استعدادا للغسل ، غير ان شتيوي رغم انه كان لا يختلف عن الاخرين الا انه كان صامتا منتبها للالم الذي يعتصر بطنه والدوار الذي يدرفر في راسه ...

... اخيرا جاءت اباريق الغسل واوانيه وابتدأ غسل الايدي من القائمقام ومرورا بمدير الناحية وحتى الاخرين وكان الجميع يجلسون في اماكنهم والاباريق تدور عليهم حتى تم غسل الايدي وابتدأت مرحله جديدة من الانتظار .

كف المتحدثون عن الحديث وطفقوا يتنحنحون ويبتلعون بريقهم حتى غدا الصمت ثقيلا عليهم يكاد يكشف خوافي النفوس . ودارت العيون في المحاجز تبحث عن نهاية الانتظار حتى بدت زحمة الاجساد تتحرك باضطراب عند البوابة حاملة صواني الطعام ...

كان يتحلق حول كل صينية اربعة رجال يحملونها من الجوانب . وكانت ثلاث صواني مفعمة بالرز يعلوها لحم الخروف المسلوق حملت الى الجالسين على الاسطبة في حين تعاون اربعة رجال اخرين على حمل منضدة مغطاة باطباق الرز والمرق والدجاج المشوي الى الجالسين على النخوت .

ارتجفت شفتي شتيوي وهو ينظر بعينيه اكوام اللحم المنطرحه على تلول الرز ثم تلاقت عيناه للحظة مع نظرة الحاج مدير الناحيه فابتسم هذا واشار له بيده فلم يفهم شتيوي وارتبك وخاف ان يرسله الحاج في مهمة الا انه بحكم العادة قفز وهرع اليه في حين نهض الجالسون على النخوت والتفوا حول المنضدة بعد ان تقدمهم القائمقام والحاج الذي وجد شتيوي يقف الى جانبه ويحدق نحوه ببلاهة

... قال الحاج :

– ها .. شتيوي خيرا ؟.

اجاب شتيوي متلعثما :

– امر .. خدمة ؟ .. رأسك تشير لي بيدك يا حاج .

ضحك الحاج وهو يتذكر الذبابه التي هشها بيده عندما التفت نظره بنظره شتيوي وتذكر ايضا طيبة شتيوي وخدمته الطويلة له فوضع ذراعه على كتف شتيوي وهو الحاج الذي يؤمن بمساواة العباد ، وقاده معه الى منضدتهم وهو يقول :

– طلبتك يا ابا فلان لكي تأكل معنا .

ولم يعد شتيوي يبصر شيئا اخر غير المنضدة والاطباق التي ذكرته بوليمة الجني الاسود ولم يعد يشعر بالدوار يتذر في راسه والالم يعتصر بطنه .. فقط كان يفكر لماذا نعود على الجوع ما دام هنا الخير والخير كله .

وقال الحاج وهو يناوله طبقا كبيرا مليئا بالرز مكللا بقطع ضخمة من اللحم :

– خذ .. كله لاسبوع مقدما .

وكان شتيوي ما زال يفكر لماذا نعود على الجوع ما دام هنا الخير والخير كله ... وكان لا يرى شيئا غير الاطباق ، وكان لا يسمع صوتا وكان لا يشم شيئا ، وكان الحاج يهزه من ذراعه وكانت وجوه كثيرة تحدق في وجهه ، وكان رجال يقفون على المنضدة امامه ولا ياكلون ... فقط يواصلون التحديق في وجهه، وكان هو يضحك .. يضحك كثيرا .. يضحك .. يضحك حتى انه لم يعد يرى الوجوه المحدقة فيه لكثرة الدموع التي حجبت رؤيته ، كان يضحك .. يضحك .. يضحك .. ورأى الوجوه تزمجر خلال غلالة الدموع . واحس ان احدا ما يضغط ذراعيه ، واحس انه يبتعد عن المنضدة .. انهم يطردوه .

وكف عن الضحك .

خارج القلعه ، خطا شتيوي يتثاقل على السدة الترابيه المحاذية للفرات . كان صامتا مندهشا يتساءل مع نفسه كيف حدث كل ذلك بمثل هذه السرعة .. كيف هبت عليه عاصفة الضحك تلك وكيف لم يستطع السيطرة على نفسه .. كيف كان جائعا وكيف وجد امامه فجاة كل اصناف الطعام تلك ... ضحك ... ضحك ... لماذا كان ذلك الضحك .؟

ماذا سمعهم يقولون ؟.

... قال القائمقام .. هريسة ... همسرنا .. لا بدري. وقال مدير الناحية .. اخرجوه.

ولم ينتبه الى نفسه الا حين كف عن الضحك خارج القلعه . واستمر شتيوي يمشي متثاقلا بمحاذاة النهر وكان يشعر انه اصبح بعيدا عنهم .. بعيدا جدا . بعيد بحيث لم تعد تهمه الوليمة ولم تعد تهمه جوعه ولم يعد يهتم لشيء اخر غير ان يفهم هذه الحالة الجديدة التي وجد نفسه يترسب في اعماقها .. وكان يفكر ماذا سيفعل .. ■■